

التفصير المطول - سورة الأعراف 007 - الدرس(60-29): تفسير الآية 85 ، الأنبياء
ملكوا المنهج ، والأمر والنهي ، أنواع الغش والبخس
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-01-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم
أخرجنا من ظلمات الوهن والجهل إلى نوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

رحمة الله تقتضي هداية خلقه :

أيها الإخوة الأكارم، مع الدرس التاسع والعشرين من دروس سورة الأعراف، ومع الآية
الخامسة والثمانين، وهي قوله تعالى :

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمٍ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بِنَتِيَّهُ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُعْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85)

سورة الأعراف

أولاً: تقتضي رحمة الله وحكمته ولأنه تولى هداية خلقه .

إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدَى (12)

سورة الليل

تقتضي رحمة الله وحكمته، ولأنه تولى بذاته العلية هداية خلقه أن يرسل إلى كل قومنبياً أو
رسولاً يبين لهم.

لكن في المأثور أن هذا الرسول أو النبي معه منهج، معه نظام، معه أوامر ، معه نواهٍ، فإذا
جاءت هذه النواهي على خلاف شهوات الناس يرفضون هذه الدعوة، ويكتبنون هذه الرسالة، ويسقطون
هذه التعليمات، فما الذي ينبغي أن يكون؟ لا بد من أن يبين الله لهؤلاء الناس أن هذا الإنسان رسوله
أونبيه عن طريق المعجزات .

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمٍ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

1 . مَدْيَنَ

الآن :

«وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا» مدین هي قبيلة تقطن قرب معان، وهم أصحاب الأیكة، وقد
أرسل الله لهمنبياً كريماً هو سيدنا شعيب «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ»

2. أَخَاهُمْ شُعِيبًا

﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ﴾ يعني عاش معهم، تربى فيهم، رأوا عفته، رأوا صدقه، رأوا أمانته، رأوا كماله، ألغوه وألغهم، هو منهم، لئلا تكون الحواجز بين الدعوة وبين المدعى .
مثالاً: لو أن أخاك دعاك إلى هذا الدرس هل تقلق؟ هل تشك فيه؟ هل تخاف؟ أبداً، لأن الأخ ليس بينك وبينه حواجز .

لو أن إنساناً من الطريق أمسك من يدك، وقال: تعال معي، وأنت في نيتك أن تأخذه إلى هذا المجلس هل يقبل؟ لا يقبل، يخاف، إلى أين ؟
لذلك الحكمة الدقيقة أن الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء يعيشون مع أقوامهم، وجعل أقوامهم يرون بأعينهم كمالهم .

كان النبي عليه الصلاة والسلام يسمى عند قومه قبلبعثة بالأمين، وحتى بعدبعثة كانت أمانات قومه تودع عنده، هم لم يؤمنوا به كنبي، لكنهم آمنوا بكماله، آمنوا بعفته، آمنوا بأمانته، آمنوا بصدقه .

إذاً: ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا﴾

كمال الخلق يدل على كمال التصور :

دائماً وأبداً كمال الخلق يدل على كمال التصرف، في هذا الكون كمال مطلق، الكون معجز، هذا الكون يشفّ عن إله عظيم، عن مرتّ حكيم، عن مقتدر، عن قوي، عن غني، هذا الكمال كمال الذات الإلهية لا بد من أن يكون معها كمال في التصرف .

للتقريب: إنسان يحمل أعلى شهادة، وملتزم، وحضر دروس علم خمسين عاماً، وهو مفكر، وباحث، وله مؤلفات، هذا الإنسان بهذه الثقافة، بهذا الوعي، بهذا النضج هل يعقل أن يرتكب حماقة؟ مستحيل، هل يعقل أن يقول كلمة زائدة؟ مستحيل، وقد تجلس مع إنسان أياماً مد IDEA في سفر لا تسمع كلمة ليست في مكانها، ولا تعليقاً لا يرضي .

كمال الخلق يدل على كمال التصرف، فمن كمال التصرف للذات الإلهية أنه أرسل إلى عباده أنبياء ورسلاً. ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا﴾

3. قال يا قوم

الأنبياء بماذا جاؤوا .

﴿قال﴾ لا معه سلاح، ولا قنبلة ذرية، ولا أقمار صناعية، ولا كمبيوتر، هذا الإنجاز الحضاري لا يحتاجه الأنبياء، الأنبياء كلتهم طارت في الآفاق .

مَثْلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُغُهَا فِي السَّمَاءِ (24) ثُوَّتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِإِذْنِ رَبِّهَا ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)

سورة إبراهيم

الأنبياء جاؤوا بالكلمة أيها الإخوة، ولكلمة فعل لا يصدق إن كانت صادقة، لذلك مع الكذب، والدلل، والتزوير كفر الناس بالكلمة، الآن الكلمة سقطت، لأنه كلام كثير لا يعني شيئاً، كلام كثير ليس فيه مصداقية، كلام كثير ليس فيه فعل، كلام كثير لا ينفذ، الكلمة إن لم تتفذ فقدت مصاديقها وفقدت قيمتها .

لذلك الأنبياء العظام جاؤوا بالكلمة فقط، كلمة قلبت العالم من عالم شارد عن الله إلى عالم مؤمن: **«مَثْلًا طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُغُهَا فِي السَّمَاءِ»** **«ثُوَّتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»** وبالباطل أيضاً يعتمد الكلمة .

وَمَثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)

سورة إبراهيم

فالحق ينتشر بالكلمة الصادقة، والباطل ينتشر بالكلمة المغربية: **«وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعْبَيَا**
قَالَ يَا قَوْمِ

ما كل نبي ذُكر في القرآن :

بالمناسبة: ما كل الأنبياء ذُكرت في القرآن الكريم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِي بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ اللَّهُ قُضِيَ بِالْحَقِّ ۗ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78)

سورة غافر

ما كل الأنبياء ذُكرت في القرآن الكريم، وما كل أحوال الأنبياء ذُكرت في القرآن الكريم، لحكمة بالغة بالغة، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، لكن هناك رغبة عند بعض المفسرين أن يتقصوا أخبار القصص وتفاصيلها وجزئياتها التي وردت في القرآن الكريم، هذا منهج غير صحيح، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر أشياء، ولم يذكر أشياء أخرى، فالحكمة من ذكر الذي ذكره حكمة كاملة، والحكمة من عدم ذكر الذي لم يذكره حكمة كاملة، لأن الله سبحانه وتعالى أراد من هؤلاء القمم قمم البشر أن يكونوا نماذج نقتدي بها، أما التفاصيل إذا كثرت ألغت في روتنا أن هذه النماذج وقعت، ولم تقع مرة ثانية .

فلذلك أيها الإخوة، لا تبحث عن أشياء سكت عنها القرآن، إنك إن فعلت هذا أفسدت على الله حكمته من هذه القصص .

إِذَاً لِحِكْمَةِ بِالْغَةِ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا الْمَعْجَزَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا شَعِيبٌ .

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

4 . اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

رأيت إلى هذه الكلمة: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هذه الكلمة ضغطت بها دعوات الأنبياء جميعاً .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ (25)

سورة الأنبياء

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ العقيدة، بالتعبير المعاصر: المنطلق النظري

عبادة الله الذي بيده الأمر :

﴿فَاعْبُدُونِ﴾ العبادة، السلوك، بالتعبير المعاصر: التطبيق العملي، الإنسان عقل يدرك، وفعل يكون، وهناك إدراك، وهناك حركة، الحركة: العمل، والإدراك: العقيدة .

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ في آية لحظة تتوهم أن مصيرك بيد غير الله هذا نوع من الشرك، لأن الذي خلقك هو الذي يتصرف بك.

الله خالقٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)

سورة الزمر

الذي خالق أمرك بيده .

وَلِلَّهِ غَيْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّنْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

سورة هود

الذي خالق مصيرك إليه .

صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)

سورة الشورى

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ (26)

سورة الغاشية

فلذلك كلمة: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إن رأيت على شبكية العين أقوباء هم بيد الله وبقبضة الله .

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (56)

سورة هود

الدابة هي أي شيء يدب على وجه الأرض ﴿مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله بيده، وهذا هو التوحيد .

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا لَبِثَوْلَهُ عَيْنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)

سورة الكهف

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّنْ عَلَيْهِ ﴾
وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)

سورة الزخرف

﴿ الَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّةٍ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ
النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَتَّىٰ وَالسَّمْسَقَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخُقُوقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (54)

سورة الأعراف

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)

سورة فاطر

مشكلات المسلمين نابعةً من ضعف التوحيد :

أيها الإخوة، الدين كله توحيد، وكل مشكلات المسلمين، بل كل مشكلات المؤمن من ضعف التوحيد، من ضعف التوحيد يسأل غير الله، من ضعف التوحيد يخاف من غير الله، من ضعف التوحيد يرجو غير الله، من ضعف التوحيد يتورّه أن جهة في الأرض يمكن أن ترفعه، وأن جهة أخرى يمكن أن تخفضه، وأن جهة ثالثة يمكن أن تعطيه، وأن جهة رابعة يمكن أن تحرمه، أما التوحيد فإن تعتقد لا معطى إلا لله، ولا مانع إلا لله، ولا رافع إلا لله، ولا خافض إلا لله، ولا معز إلا لله، ولا مذل إلا لله، ولا مسعد إلا لله، ولا مشقي إلا لله، هذا هو التوحيد، التوحيد ألا ترى مع الله أحداً، التوحيد أن تعلم علم اليقين أن مصيرك بيد الله، وأنك في قبضة الله، وفي آية ثانية أنت في قبضته، التوحيد ألا ترى مع الله أحداً، التوحيد أن ترى أن يد الله تعمل وتحدها .

فَأَمَّا تَنْتَلُوْهُمْ وَلِكِنَّ اللَّهَ قَتَّاهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلِكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيَنْبَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً
حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)

سورة الأنفال

ال توفيق والسعادة والنجاة في طاعة الله تعالى :

أيها الإخوة ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اغْبُرُوا اللَّهَ أَيُّ أَطِيعُوهُ، كُلُّ السُّعَادَةِ فِي طَاعَتِهِ، كُلُّ السَّلَامَةِ فِي طَاعَتِهِ، كُلُّ التَّوفِيقِ فِي طَاعَتِهِ، كُلُّ النَّجَاحِ فِي طَاعَتِهِ، كُلُّ التَّفْوِيقِ فِي طَاعَتِهِ .﴾

يُصلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (71)

سورة الأحزاب

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتبني .

مرة دخلت جاماً في محافظة، والله رأيت لوحة بحجم فلكي كبير، كتبت عليها آية قرانية، حينما تقرأها تشعر بخدر في جسمك .

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»
وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

سورة الفتح

مهما رأيت يداً قوية تخاف منها فاعلم علم اليقين أن يد الله فوقها .
للتقريب: وحوش كاسرة، جائعة، مفترسة، أنبيابها حادة، وأنت ضعيف، إلا أن هذه الوحوش مربوطة بأزمة مُحكمة بيد جهة عادلة، رحيمة، منصفة، حكيمة، تحبك، هل تخاف منها؟ تخاف منها إذا اقتضت حكمتها أن ترخي أحد الأزماء، فالوحش المربوط بهذا الزمام يصل إليك، أما إذا كنت تتحرك وفق مشيئة هذه الجهة هي بعيدة عنك، هذا هو الدين .

والله الذي لا إله إلا هو أكاد أخص مشكلات المسلمين بمثل بسيط: المسلمين انحرروا، وتقلتوا من منهج الله، لم يطبقوا سنة رسول الله، هان أمر الله عليهم فقيض الله لهم قوة جباره، ليس في الإمكان إزاحتها، إلا بحالة واحدة؛ أن يعودوا إلى استقامتهم، فتزاح من تلقاء نفسها، هذا ملخص الملخص .

إِنْ تَسْتَقْتُحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفُتُحُ «وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» (19)

سورة الأنفال

فالعبادة هي الطاعة، والتوحيد هو الدين، والدين كله توحيد وعبادة .

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اغْبُرُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ إِمَّا أنَّ الْبَيْنَةَ هي سيدنا شعيب، ببيانه، وحججه، وفي الأعم الأغلب ومعه معجزة، هي خرق للعادات، وللنواتيس تؤكد أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أرسله.

﴿فَقَدْ جَاءَتُكُمْ بِيَتَّهُ مِنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدِ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ دائمًا عندنا عقيدة، وعندها منهج، عندها أشياء ينبغي أن تعتقد بها: أن الله موجود وكامل، وواحد، وأسماؤه حسنة، وصفاته فضلى، وأن هناك قضاءً وقدراً، وأن هناك ملائكة وهناك كتاباً، وهناك أنبياء، ورسلين، هذه عقائد، لا تكذب هو منهج، ألم الصلاة هو منهج، آت الزكاة هو منهج، لا تغتب أحداً هو منهج، فهناك عقائد، ومنهج، فأنت بالكون تعرفه، وبالشرع تعبده الآن بالمنهج: **﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** عقيدة :

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّ

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدِ إِصْلَاحِهَا﴾ منهج .

يعني لات مثل: أنت بحاجة إلى غرفة نوم، مثلاً بحاجة إلى سرير واحد، رأيت غرفة نوم بسريرين، هو مصنوع، قلت له: أريد سريراً واحداً، الغرفة ثمنها 150 ألفاً، قال لك: أخصم لك ألفين، هو نفسه، لو جئتني بعد عام الغرفة في الصالة فيها سرير واحد، قلت له: أريد سريرين، قال لك: فيها زيادة 25 ألفاً، لماذا بالجسم ألفان؟ و بالإضافة 25 ألفاً؟ هناك بخس .

كل شيء تعرضه ما له قيمة، كل شيء تطلبه غالٍ جداً، الباعة يبخسون الناس أشياءهم .

مرة حدثني أخ بيته وبين صديقه سيارة، يريدان التصفيه، التخصص، ذهبا إلى تاجر السيارات أعطاهم سعر شرائه لها أربعين ألفاً، ذهبا ليشتريا مثلاً فطلبوا 80 ألفاً، من نفس المستوى تماماً، العرض 40، الشراء 80، هذا بخس، وغض، والله الذي لا إله إلا هو هناك أنواع من الغش لا يعلمها إلا الله، كل شيء إذا عرضته يدفع لك ثمن بخس، فإذا طلبته تدفع الثمن الفاحش .

إذاً ليس هناك إنصاف، وأقول لكم من أعماق أعماقي: دينك ليس هنا، دينك في محلك التجاري، في عملك، إذا أحب أن يستلم قماشاً كيلاً يشد القماش حتى يتمزق، إذا أحب أن يبيع، وأما إذا أحب أن يشتري القماش يشكله بخط منحنٍ عنده، الشراء خط منحنٍ، أما في البيع كاد القماش يتمزق من شدة الشد، هذا بخس .

أحياناً يبيعك حاجة غالية جداً كالهيل، بورق ثقيل جداً مع نشاء، صار ثمن الكيس أضعافاً مضاعفة، أحياناً عبوة الفاكهة خشب، يكون سعره الكيلو مئة ليرة، 4 كيلو 400 ليرة دفع، 400 ليرة ثمن العبوة هي ثمنها 20 ليرة العبوة خشب منقوع بالماء، وثقيل، أنواع الغش لا تعد ولا تحصى، ييدو أن الإنسان يبخس الناس أشياءهم، يتلاعب بالسعر، بالمواصفات يأتي بقمash من بلد مختلف جداً، يضع عليه شريطًا ذهبياً بالمكواة، يصبح مصنوعاً في أرقى بلد في أوروبا، يبيع القماش بثلاثة أضعاف، هو يبخس الناس أموالهم، وإذا اشتري يبخسهم أشياءهم .

لذلك في سياق سور جزء عم، في سياق الجزء الثلاثين، كل السور تبدأ بالقسم :

والشمسِ وَضُحَاهَا (١)

سورة الشمس

وَالْفَجْرِ (٢) وَلَيَالٍ عَشْرِ (٢)

سورة الفجر

إلا في سورة قد يظن أنها مُقْحَمَة إِقْحَامًا :

وَيَنِّ الْمُطَفِّفِينَ (١)

سورة المطففين

على خلاف السياق كله، قال علماء التفسير: إذا كان التطفيف في البيع والشراء يسبب الهلاك، فكيف التطفيف في الإيمان بالله؟

وصدقوا أيها الإخوة، دينكم ليس في المسجد، دينكم في المحل التجاري، في الصيدلية يمكن أن تبيع دواء انتهى مفعوله؟ جاء طفل يشتريه فيحك التاريخ بالشفرة، ثمنه 800 ليرة، أنا أرى أنك إن فعلت هذا ألغيت عباداتك كلها، حينما تحتال، وتغش في الوزن، والكيل، والمساحة، والعدد، والنوعية، والمواصفات، ومنشأ البضاعة، أنواع الغش لا تعد ولا تحصى، أحياناً 200 الغرام بالمطعم 150، وأحياناً اللحم بحسب ما اشتريته هو من نوع آخر، غش مرتين، مرة بالوزن، مرة بال النوع، ما دام الإنسان هكذا ليعتقد اعتقاداً جازماً أن الطريق إلى الله ليس سالكاً، يعني ألغى عباداته.

﴿فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

أحياناً الماء يفسد، أنا عشت في هذه البلدة، وأعلم علم اليقين كان الناس يشربون من ماء نهر يزيد، كان الورع بحيث يخاف أي إنسان أن يلقي فيه شيئاً، الآن مياه نهر يزيد سوداء، إفساد الماء إفساد، إفساد الهواء إفساد، مادة مسرطنة إفساد، هناك هرمون نباتي مسرطنة إفساد، هناك مواد حافظة مسرطنة تتوضع بكثيات مضاعفة، مسموح أن تضع 3 بالألف، لكن يضعون 6 بالألف، وهو مسرطان، حينما ترى أن هناك إليها عظيماً سيحاسبك لا تفعل مثل هذا.

صدقوا أيها الإخوة، هناك مواد غذائية تضاف لها مواد كيماوية مسرطنة، يفتح لونها، تزداد أبيضاً، يرتفع سعرها على حساب صحة الناس، هناك أدوية زراعية جهازية مسرطنة تُشتري تهريباً من أجل أن يتبع الدبور عن العنب، هذا الدواء منوع استيراده، منوع بيعه، يدخل تهريباً، ويُرش به العنب، فالدبور لا يقترب إطلاقاً، لكن الناس يموتون، الذي يفكر بغش المسلمين أو غير المسلمين بكل بساطة فقد ألغى عباداته كلها، ألغى صلاته، ألغى صيامه، ألغى حجه، ألغى زكاته، وهو مسلم !!!

أحياناً هناك شيء تبيعه مؤذ، لكن له عمولة عالية، وهناك شيء تبيعه غير مؤذ، لكن بلا عمولة، حينما تختار الشيء الذي له عمولة، وتؤذني به إنساناً عبداً لله، فأنت بهذا قد خنت الأمانة،

وألغيت عباداتك كلها، هذا إيماني، فدينك ليس في المسجد، في ملك التجاري، في المواد التي تقدمها للناس .

يعني إذا الموظف في مطعم مصاب بالتهاب كبد وبائي، ودخل إلى الحمام، وما غسل يديه جيداً قد ينقل هذا المرض الخطير العضال المميت إلى 300 آكل .
لذلك الآن :

«فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

فالعبارة: الدين سلوك، الدين معاملة، الدين انضباط، الدين صدق، الدين أمانة، الدين ورع، الدين إنصاف، الدين نصيحة، الدين استقامة، هذا الدين، فإن لم تكن كذلك ولا أبالغ وسامحوني مجيئك للمسجد لا يقدم ولا يؤخر .

كنت في ألمانيا موظف كبير في السفارة، قال لي: كنت في الشام، وأنا ركبت سيارة أجرا، وسائق السيارة يستمع إلى درسك، قلت له: شيء جميل، قال لي: قدمت له مئة ليرة أخذها كلها، أنا قلت له: أغلق الإذاعة أحسن، إذا كان هذا هو السلوك أغلق الإذاعة.

يعني إذا لم يكن الإنسان مستقيماً فلا ينضم للمؤمنين إطلاقاً، يقوم بحركات وسكنات اسمها الصلاة، يقوم برحلة اسمها الحج، يقوم بنظام غذائي صارم اسمه الصيام، هكذا إذا ما استقمت. والله أيها الإخوة، كلمة من القلب إلى القلب، أنواع الغش المتاحة للناس لا يعلمها إلا الله. أيها الإخوة «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّ» كلمة أشياء عامة جداً، أي شيء حتى لو كان معنوياً .

أحياناً يكون البيت المراد ببعده في الطابق الخامس، حتى يقنع الوسيطُ الإنسانَ بشرائه يصعد معه، عند كل طابق يقف معه دققتين أو ثلاثة، يقص عليه قصة ليرتاح، في كل طابق وقفه، يصل إلى فوق مرتاحاً، يشاهد المناظر فيجدها جميلة جداً .

أقسم لي بالله وسيط عقاري، قال له: أريد البيت اتجاه القبلة، قال له: سنصلكي العشاء، صلى باتجاه الشمال حتى أقنع هذا الإنسان أن هذا البيت باتجاه الجنوب، هناك غش لا يعلمه إلا الله، وأساليب الغش والله يحار لفهمها الناس، وهو يصلكي في الجامع، هذه الصلاة لا قيمة لها، هذه الصلاة التي ليس قبلها استقامة لا شأن لها إطلاقاً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

أَنْذِرُونَ مَا الْمُفْلِسُنَ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدْ فَدَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ،

وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُغْطِي ، هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضِي مَا عَلَيْهِ أَخْدٌ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ

مسلم

يقول لك: أنا أخذت الزيتون وعصرته أمامي، يكون هناك مستودع للزيت النباتي على السقيفة، فيعصره نصف عصرة، ويفتح المفتاح قليلاً، ويأخذ زيته نصفه نباتي، يقول لك: أنا وقفت أمامه، لا مجال أن يكذب عليّ.

ألوان الغش لا يعلمها إلا الله، وهذا المال الذي يأتي من الغش يدمره الله عز وجل، الله عنده أساليب لتدمير المال لا يعلمها إلا هو.

أيها الإخوة، الذي أتنبه في هذا الدرس، أنت مسلم تصلي يجب أن تكون مستقيماً استقامة تامة.

حدثني أخ يعمل بلف المحركات، قال: يأتيني محرك قبل أن أعرف الله، ما فيه شيء، فيه شريط خارجي مقطوع الحمه في ثانية، الأجرة خمسة آلاف، لف كامل، يأتي بعد يومين يشغله حسب الشرط 5000، يأخذها، قال لي: بعدها عرفت الله، أطلب منه 25 ليرة، الشرط خمسة آلاف، ما فيها شيء، فيها شريط خارجي مقطوع ولحمته.

لما تعرف الله تستقيم استقامة تامة، لما تعرفه يحاسبك، لما تعرف صحتك بيده.

والله مرة حدثي أخ قال لي: جاء إنسان معه سيارة جديدة، كان بدولة خليجية وإذا بها فيها مشكلة، الذي رأه ذكي، عرف أنه لا يعلم شيئاً في مكانيك السيارة، أعطاه وصفاً يكلف عشرة آلاف، وإصلاحها يحتاج إلى دقيقة واحدة، كم يوماً؟ ثلاثة أيام، جاره من إخواننا، أخذ السيارة وأخبر أهله، ذهب إلى منطقة الزبداني أول يوم، وثاني يوم إلى طريق المطار، ثالث يوم على منطقة أخرى، وفي رابع يوم جاء صاحب السيارة فأعطاه إياها، أخذ عشرة آلاف، فجاره عاتبه، قال له: هكذا الشغل، لكن ابنه دخلت نثرة فولاذ في قرنية عينه بمخرطة، تكلفه أربعين ألفاً، بعد جمعتين العملية أجراها في لبنان، الله كبير.

إياك، ثم إياك أن تفهم الدين عبادات شعائرية، الدين استقامة، الدين بحقك الزراعي، الدين بمكتبك التجاري، الدين بمكتب المحاماة، الدين بالمكتب الهندسي، الدين بالعيادة، الدين بالدكان. وقعت فأرة في عبة الزيت، ثُبَاع ثانٍ يوم بيعاً عادياً، تُنَزَّع بالملقط، وبِياع الزيت، والمؤمن مستحيل أن يبيعها، وإذا ما راقت الله عز وجل بينك وبينه لا تصح صلاتك، لأن حجاباً بينك وبين الله ، هذا الكلام دقيق.

توسعت في هذا الموضوع، لأن العالم الآن يعاني من الغش بشيء لا يصدق، في بخس لأموال الناس، إذا أعطيت مادة سيئة بسعر مرتفع فأنت بخست الناس أموالهم .

﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْتُهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ بضائعهم، على ألبستهم ، أي شيء .

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

خاتمة :

إذا كنتم مؤمنين أن هناك إله يعلم ما تفعلونه، وسيحاسب، وسيعاقب، فال الأولى أن تستقيم، الأولى أن تتجو من الله باستقامتك، إذا كنت مؤمناً أن هناك حساباً :
فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

سورة الحجر

ينبغي أن تستقيم .
حينما تؤمن أنه :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الززلة

ينبغي أن تستقيم، أنت حينما تؤمن أن لكل سيئة عقاباً، ولكل حسنة ثواباً ينبغي أن تستقيم، أنت حينما تؤمن أنه مستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ينبغي أن تستقيم .

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَهُ مِنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم،
والحمد لله رب العالمين.